

الأمثل في تفسير كتاب الإن المنزل

[500] كلام المفسّرين كثير في بيان سبب إطلاق هذه الكلمة على المسيح. إلاّ أنّ أقربها إلى الذهن هو ولادة المسيح الخارقة للعادة والتي تقع ضمن : (إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)(1). أو لأنّ البشارة بولادته قد جاءت في كلمة إلى أمّه. كما أنّ لفظة "الكلمة" وردت في القرآن بمعنى "المخلوق" : (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً)(2). ففي هذه الآية "كلمات ربّي" هي مخلوقات. ولمّا كان المسيح أحد مخلوقات الإن العظيمة فقد سمّي بالكلمة، وهذا يتضمّن أيضاً ردّاً على الذين يقولون بالوهيّة المسيح (عليه السلام). 2 - "المسيح" بمعنى الماسح أو الممسوح. وإطلاقها على عيسى إما لأنّه كان يمسح بيده على المرضى الميؤوس منهم فيشفّيهم بإذن الإن، إذ كانت هذه الموهبة قد خصّمت له منذ البداية، ولذلك أطلق الإن عليه اسم المسيح قبل ولادته. أو لأنّ الإن قد مَسَح عنه الدنس والإثم وطهّره. 3 - يصرّح القرآن في هذه الآية بأنّ عيسى هو ابن مريم، وهو تصرّح يدحض مفتريات المفتريين عن الوهيّة المسيح. إذ أنّ من يولد من امرأة وتطراً عليه جميع التحوّلات التي تطرأ على الجنين البشري والكائن المادّي لا يمكن أن يكون إلهاً، ذلك الإله المنزّه عن كلّ أنواع التغيّرات والتحوّلات. تشير الآية التي بعدها إلى إحدى فضائل ومعاجز عيسى (عليه السلام) وهي تكلامه في المهد (ويكلّم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين). فقد جاء في سورة مريم أنّّه لدفع التهمة عن أمّه تكلم في المهد كلاماً فصيحاً أعرب فيه عن عبوديّة الإن، وعن كونه نبياً. _____ 1 - يس : 82 . 2 - الكهف :